الزهور

الجزء الثاني ابريل (نيسان) ١٩١١ السنة الثانية

كل مياه البحر

﴿ لا تغسل الادران التي تعلق بقلب الفتى من سوء التربية ﴾

لو شئنا ان نورد ما قاله الفلاسفة والشعراء والكتّاب وأساتذة الاجتماع عن الولد ، ذلك المخلوق الطاهر ، لضاقت عن ذكر بعضه فقط المقالات الطوال . فان الولد كان ولم يزل موضع عناية كل من اهتم بخدمة بني الانسان وترقية شؤونهم ، لأن هؤلاء الاطفال هم الحجارة التي نُعدها لبناية الغد . وبقدر ما نسعى في صقلها وحسن وضعها يجيء وضع بناية مستقبلنا جميلاً متقناً . فمهما كتبنا وسطرنا في هـذا الموضوع الجليل لا نكون وفيناه حقه من الاهتمام

ريع الجميع من كثرة القضايا التي تعرض على المحاكم بشأن التعدي على آداب الأولاد وهتك حرمتهم وتسطير حروف الفحشاء على صحيفتهم التي كانت بيضاء ناصعة ، فعادت وقد مرّت عليها يدُ المنكر قذرة سوداء . وقد زاد هذه الحوادث شناعةً وفظاعة ان أبطالها المشؤمين هم ممن يطالب منهم اكثر من سواهم السهر على نور الآداب لئلا تطفئهُ اهواء المفاسد .

ثم انهم اتخذوا فريسة لنار شهواتهم أغصاناً رطبة ناضرة

واذا كانت هذه الأعمال تشجب وتستنكر وهي تكون برضى الفريقين فكيف يعبر عنها حين تتم قسراً وعنوة مع من لم يبلغوا سن الرشد ولم يعرفوا من لذات هذه الدنيا إلاَّ قبلات أم حنون ، ومن آلامها إلاَّ الحرمان من لعبة أو تأنيب والد شفيق

فهل بعد ما نرى ونسمع صباح مساء يمل القراء لو طرق الكتاب موضوع الاداب مراراً واكثروا من الحض على التربية وهي المصل الواقي الشافي من كل هذه الاوبئة ؟ لا لعمري ان الواجب الاول على حملة الأقلام قبل التسابق في نشر الانباء السياسية واذاعة الاكتشافات العملية الجري والمباراة في هذا الميدان

*
* *

تبتدئ تربية الولد بين جدران المنزل وفي حجر العائلة بين الاخوة والاخوات حين تكون نفس الطفل كما قال عنها الشاعر اللاتيني هوراس « كالشمع المرِن تتكيف بالكيفية التي يريدها وليُّها » ومن منا اذا تطلع في مرآة الذاكرة الى تلك الايام البعيدة لا يذكر كلمة سمعها أو حادثة شهدها كان لها اكبر تأثير على ضميره الأبيض ولا بياض السوسنة في الحقل ، وأشد وقع على قلبهِ الصافي ولا صفاء الماء المتدفق من الصخر

ولكن ما أقل سهرنا على أولادنا واكثر تغافلنا عنهم وهم في العقد الاول من العمر . انزل معي أيها الوالد الى اي شارع شئت من شوارع المدينة وافتح هناك عينيك وأذنيك . تنظر ما تنبو منهُ عينك وتسمع ما

تنفر منـهُ اذنك بل أنت لست بحاجة الى فتح هذه وتلك فان المشاهد المخجلة تلفت منك الأبصار قسراً ، والكلمات البذيئة تشق الى اسماعك سبيلاً . بل علام أدعوك الى ذلك وكثيراً ما تسمع وترى طفلك الصغير يأتي من الحركات ويفوه من العبارات بما يأبى القلم تسطيره ، وذلك على مرأى منك ومسمع وأنت باسم له مشجع لعمله بسكوتك المذنب ...

وعند ما يبلغ الولد العقد الثاني من العمر ويصير يافعاً ينتقل القسم الاكبر من واجب تربيتهِ عن عاتق الوالدين الى عاتق المؤدب في المدرسة . ففي هذا الطور من العمر تتفتح أزهار النفس وتستعد لطرح ثمرها . فان وجدت تلك الأزهار هواءً نقياً وماءً طاهراً ، جاءت نضرة زاهية . وان لاقت هواءً ساماً وماءً فاسداً ، جاءت ذابلة قبل الأوان . فترى الشاب شيخاً هرماً ويا تعس من كان هذا شبابه ..!

وفي هذا العمر تزداد مهمة متولي التربيـة أهميةً بازدياد الاخطار المحدقة باليافع : اخطار داخلية لان عقله بات يفهم ما لم يكن يفهمهُ وقلبه اصبح لعبة في تيار الاهواء النفسانية ، واخطار خارجية لان هناك عشراء السوء يضعون يدهم بيده للسير في طريق الضلال ؛ ودواعي الفساد تحدق به من كل جانب وتتنازع ارادته الضعيفة التي لم تتقوَ في نار الاختبار ولم تتصلب في خبرة الدنيا والناس

وما عسى ان يكون مصير الفرد الذي ألقيت بذرة الرذيلة في قلبهِ طفلاً ، ووجدت من يتعهدها ويعمل على انمائها في صدره يافعاً . . ؟ الا ان مصير هذا المسكين لا محالة الى ادنى هوات الانحطاط الانساني .

وهيهات ان يقيض الله له يداً فيها من القوة ما يكفي لانتشاله من هذه الوهدة . واذا أسأنا تربية اولادنا فلا نعجب لكثرة الجرائم وتعددها بل فلنعجب لانها لم تبلغ أضعاف ما نحن سامعون

فلنجعل اذن شؤون التربيـة نصب أعيننا فلا ندخر وسعاً لابعاد الاولاد عن كل أسباب الفساد فنحفظ لهم حياة النفس والجسم . وعلى نظارة المعارف ان تزيد سهراً وتيقظاً في تعهد معاهد العلم ، فتطهرها من حين الى حين لئلا تنمو فيها ميكروبات أو بثة الآداب . وعلى رجال البوليس ان يحافظوا في الشوارع على حرمة الآداب فلا نسمع في غدواتنا وروحاتنا تلك الالفاظ البذيئة التي تعلو في الطريق على كل صوت . . .

تشكلت جمعية « رعاية الاطفال » بهمة بعض الافاضل الغيورين على مصالح بلادهم فأخذت تعمل بجـد ونشاط لوقاية الاطفـال ودرء الامراض والعاهات عن اجسامهم النحيفة ، فنعم ما فعلت

واهتمت الحـكومة بوضع قانون يتعلق بتشغيل الاحداث واضعة نصب اعينها في سن هذا القانون صحة الولد لئلا تذبل وتذوي بين جدران المعامل ساعة هي في طور نموها ، فحبذا ما فعلت

ولكن يتحتم علينا مع الاهتمام بشؤون الاولاد المادية ان نوجه اهتمامنا الى شؤونهم الادبية ، فنعمل على وقاية القلب كما نعمل على وقاية الجسم . حتى يسلم هذا وذاك من الامراض القتالة

وعليهِ فيجب ان تؤلف جمعيات لهذه الغاية تأخذ على عاتقها الاهتمام بهذه المسألة الخطيرة وما هذا على من يحب ابناء جلدته بالأمر العسير

وهكذا نكون اعددنا للمستقبل رجالاً اقوياء جسماً ونفساً، فيكسبون امتهم قوة مادية وقوة ادبية تدفعها الى مقدمة الامم الراقية

* * *

قال ألفرِد ده موسه ، وهو ذلك الشاعر الطائر الصيت الذي رشف كأس الملذات حتى الثمالة : « يا ويل من يدع الفساد يتملك فؤاده . فان قلب الفتى اشبه باناء عميق . فاذا كان اول ماء يسكب فيه فاسداً فان كل مياه البحر لا تكفي لغسله لان هذا الاناء بعيد القرار وشائبة الفساد في قعره »

فلنجتهد اذن ليكون أول ماء نسكبهُ في قلوب أطفالنا نقياً من كل دنس ، مستخلصاً من أجمل زهور الفضائل

إيماءة زائر

الى بعض ما باورشليم من المآثر (تابع)

المسيو اوفهى — نعم قلت اني لا اتعرّض لوصف تلك الآثار ، غير ان قلبي لا يسمح لي ان اذكر اورشليم واعرض عن ذكر الحرم فانهُ ابدع ما رأيت حتى اليوم وقد عثرت في تاريخ ابن خلدون على ما اظن ان السواد الاعظم من القراء لا يعرفونهُ وهذا نصّ قوله :

« وأما بيت المقدس وهو المسجد الأقصى فكان اول أمرهِ أيام الصابئة موضع الزهرة ، وكانوا يقربون اليهِ الزيت فيما يقربونهُ يصبونهُ على الصخرة التي هناك . ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبلةً لصلاتهم . وذلك ان

موسى صلوات الله عليهِ لما خرج بني اسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله أباهم اسرائيل وأباه اسحق من قبلهِ وأقاموا بأرض التيه ، أمره الله باتخاذ قبةٍ من خشب السنط عين بالوحي مقدارها وصفتها وهيا كلها وتماثيلها ، وان يكون فيها التابوت ومائدة بصحافها ومنارةً بقناديلها وأن يضع مذبحاً للقربان . وصف ذلك كلهُ في التوراة اكمل وصفٍ ، فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد . وهو التابوت الذي فيهِ الالواح المصنوعة عوضاً عن الالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندهـا . وعهد الله الى موسى بأن يكون هرون صاحب القربان . ونصبوا تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون اليها ويتقربون في المذبح أمامها ويتعرضون للوحي عندها . ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم ووضعوها على الصخرة ببيت المقدس وأراد داود عليهِ السلام بناء مسجدهِ على الصخرة مكانها فلم يتم لهُ ذلك . وعهد بهِ الى ابنهِ سليمان فبناه لاربع سنين من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة موسى عليهِ السلام (١) واتخذه عمده من الصفر وجعل بهِ صرح الزجاج ، وغشى أبوابهُ وحيطانهُ بالذهب ، وصاغ هياكلهُ وتماثيله وأوعيتهُ ومنارتهُ ومفتاحه من من الذهب ، وجعل في ظهره قبراً ليضع فيهِ تابوت العهد وهو التابوت الذي فيهِ الالواح وجاء بهِ من صهيون بلد أبيهِ تحمله الاسباذ والكهونية (كذا في الاصل) (٢) حتى وضعه في القبر . ووُضعت القبة والأوعية والمذبح كل واحد حيث أعد له من المسجد وأقام كذلك مما شاء الله ثم خربهُ بختنصر (٣) بعد ثمانمائة سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا ، وصاغ الهياكل ونثر الاحجار . ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناه عزير نبي بني اسرائيل لعهده باعانة بهمن ملك الفرس الذي كانت الولاية لبني اسرائيل عليهِ من سبي بختنصر وحدَّ لهم في بنائهِ حدوداً دون بناء سليمان بن داود

---

(١) جاء فى الفصل السادس من سفر الملوك الثالث ان سليمان شرع فى بناء الهيكل سنة ٤٨٠ لخروج بنى اسرائيل من مصر (٢) قد جاء فى الفصل الثامن من سفر الملوك الثالث ما نصه « وجاء جميع شيوخ اسرائيل وحمل الكهنة التابوت » راجع اخبار الايام الاول (١٤ : ١٥) (٣) راجع الفصل ٢٥ من سفر الملوك الرابع

عليهما السلام فلم يتجاوزوها [١]. ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملك لبني اسرائيل في هذه المدة ثم لبني خسمان (كذا في الاصل) من كهنتهم ثم لصهرهم هيرودوس [٢] ولبنيه من بعده و بنى هيرودوس بيت المقدس على بناء سليمان عليهِ السلام وتأنق فيهِ حتى اكملهُ في ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها وأمر ان يُزرع مكانهُ . ثم اخذ الروم بدين المسيح عليهِ السلام ودانوا بتعظيمهِ ، ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدين النصرانية تارةً وتركه اخرى. الى ان جاء قسطنطين وتنصرت امهُ هيلانة وارتحلت الى بيت المقدس في طلب الخشبة التي صلب عليها المسيح بزعمهم فاخبرها القساوسة بأنهُ رُمي بخشبتهِ على الارض وأُلقي عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة و بنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة (كنيسة القيامة) كأنها على قبره بزعمهم . وخربت ما وجدت من عمارة البيت وامرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخفي مكانها جزاءً بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيهِ عيسى عليهِ السلام . و بقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة . فأري مكانها وقد علاها الزبل والتراب ، فكشف عنها و بنى عليها مسجداً على طريق البداوة وعظم من شأنهِ ما اذن الله من تعظيمهِ وما سبق من امّ الكتاب في فضله حسبما ثبت

ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليهِ وسلم بالمدينة وفي مسجد دمشق . وكانت العرب تسميهِ بلاط الوليد وألزم ملك الروم ان يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك وتمّ بناؤها على ما اقترحهُ ثمّ لما ضعف امر الخلافة اعوام الخمسمائة من الهجرة في

---

(١) راجع الفصل ٣ و ٤ و ٦ و ٧ من سفر عزرا وهو عزير الذى ذكره ابن خلدون (٢) لان هيرودوس تزوج مريمنا بنت سمعان الحبر

آخرها وكانت في مملكة العبيديين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل امرهم ، زحف الفرنجة الى بيت المقدس فملكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منهُ كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون ببنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن ايوب الكردي بملك مصر والشام ومحا أثر العبيديين وبدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان بهِ من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام ، وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة ، وهدم تلك الكنيسة واظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليهِ لهذا العهد » . انتهى

هذا واما الذي اردت الإيماء اليهِ من بعض ما بأورشليم وبيت لحم من الصدقات الجاريات والمآثر الباقيات فهو المدرسة الصلاحية في القدس الشريف ومدرسة اليتامى العلمية الصناعية في بيت لحم

اما المدرسة الصلاحية المعروفة بمدرسة القديسة حنة فهي مدرسة كهنوتية كبيرة متقنة البناء مجانية معدة لمائة وخمسين طالباً ، ومدة الطلب فيها عشر سنين ، لكنها مخصصة بمن يترشح لخدمة الله من طائفة الروم الكاثوليكيين دون سواها . وكلما انتهى فوج تستقبل فوجاً آخر . والقائمون فيها على انارة العقول بالتعليم وتهذيب الاخلاق بالترويض رجالٌ ممن برزوا في حلبة الفضل وممن أخذوا السبق في مضامير العلم . الاَّ وهم اجلاء من الرهبان البيض الذين كأنما بياض ثيابهم ينادي ببياض سرائرهم . وقد تخرّج في هذه المدرسة العظيمة الشأن عدة من الكهنة الذين تعتزّ بهم المنابر وتستنير باقوالهم المجامع والمحافل ويفوح من آثارهم شذا الفضائل فاذا نظرت يا رعاك الله الى ما تجني من العوائد الكبيرة طائفة يقوم على ارشاد ابنائها رجال من اهل العلم والصلاح من امثال

هؤلاء عظم في عينك قدر منشئ هذا المعهد العلميّ الحريّ بان يُدعى (بيت النور والفضل) وجلّت في نفسك همتهُ ولاح لك ضوء حكمتهِ . ولا سيما متى اعتبرت سداد رأيهِ بتوسيده امر التعليم والتربية والادارة في ذلك المعهد الى اولئك الرهبان الذين افنى همهم ان يوقدوا مصابيح العلم ويبذروا بذور الفضائل ويزيلوا من امام المجتمع الانساني دواعي الشقاء ويكشفوا حنادس الجهل وناديت بأعلى صوتك « يا رحمة الله اسقِ قبر (الكردينال لافيجري) الذي دخل سورية محسناً وودعها محسناً »[1]

واما مدرسة البنين بيت لحم فهي بناية بل بنايات هائلة عالية كأنها خطيب فصيح متبوّئ منبر الثناء على همة رجل الفضل الذي اخذت آثاره من النفع بأوفر حظ ، وضربت له من مجد العاجلة والآجلة بسهام لا بسهم . فقد زرت هذا المعهد الرحب الذي اسكرت منشئه خمرة الهيام بتعليم الصغير ، واستغرقته لذة الغرام بتربية اليتيم ، فرأيت فيهِ زهاء المائة من الفتيان يتعلمون عشر صنائع من الصنائع اللازمة للبلاد ورأيت من مصنوعاتهم ما يشهد لهم بالبراعة والحذق في الصناعة وقد عُرفوا بذلك حتى صار المتأنقون من اهل اليسار من الأطراف القريبة والبعيدة يستصنعونهم ما يحتاجون اليهِ

---

(١) قد جاء هذا الهمام الغيور سورية على اثر حوادث السنة ١٨٦٠ للميلاد بمبلغ طائل من المال الذي جمعته فرنسا اسعافاً للمسيحيين المنكوبين غير ان ذلك الاحسان قد زال . واما احسانه الثاني بانشاء هذه المدرسة العالية فهو باقٍ

وهم يتعلمون مع تلك الصنائع العشر ثلاث لغات الفرنجية والطليانية والعربية ، ويُلقى في اذهانهم من بذور التعاليم والآداب المسيحية ما أجمع الكون على انهُ منبثق انوار المدنية

ثم ان تلك المدرسة مجانية تبذل لذلك العدد العديد من اليتامى كل ما يعوزهم من طعام وكسوة وكتب وادوات صنائع ولا تطلب من تلك النفقة الباهظة عوضاً الاَّ وجه الله الكريم . فأولئك اليتامى وكل من اتصل بهِ خبر هذا الاثر الجليل يقولون : رحم الله (الأب انطون بلوني) الذي أعلى للجميل معالمهُ وحمى مكارمهُ فلقد كانت ايامهُ ايام المبار والمحامد وازمان المكارم والمآثر

ومن حسن نظر هذا الغيور في عواقب الامور انهُ لما طعن في السن ووصل الى عصر يوم الحياة خشي على هذا الميتم الكبير وسائر المدارس التي انشأها في الناصرة وفي بيت جمال وفي كرم الزان ان تغلق أبوابها وتنضب ينابيعها فسلمها الى من لا يألون جهداً في المحافظة عليها بل الى من لا يصرفهم عن انمائها وتوسيعها غرضٌ من الأغراض فهم جماعة من الآباء السالیسیان متجردون لخدمة الله بتعليم الاحداث والسعي لتخفيف شقاء الحياة　　(بيروت)　　سعيد الخوري الشرتوني

﴿ السنة الاولى « للزهور » ﴾

في الادارة مجموعة « الزهور » للسنة الأولى مجلدة تجليداً متقناً وثمنها خمسون قرشاً صاغاً . ويضاف الى ذلك اجرة البريد للخارج

بين هدى وأدما

عود الى « تمدن المرأة العصرية »

قرأت أديبة بيروت كلمتي « بين هدى وأدما » فاغضبتها وهي على ما هي عليهِ من لين العبارة ونعومة المعنى ... وقرأتُ ردها عليَّ فاخذتهُ بحلم وسعة صدر على ما فيهِ من القوارص والمغامز .. فكان غضبها وحلمي دليلين على نقيضين : ضعف النساء ورصانة الرجال

قبل الموضوع لي ملاحظة :

أولاً عتبت الآنسة « أدما ورفيقاتها » على صاحب الزهور لأنهُ وسع لمقالي صدر مجلتهِ فهي اذن تريد ان يباح القول لفريق ويُمنع عن فريق آخر ، ويصدر الحكم لصالح الفريق الأول . فالداعي وان لم يكن من القضاة ولا المحامين يرى ان استئثار خصم بالكلام دون الآخر يجعل البحث والحكم باطلين ، وهي حقيقة بديهية ما كانت لتخفى على الآنسة « أدما ورفيقاتها » لولا ثورة العواطف . ولو انهنَّ رغبنَ بحرية الكلام واباحتهِ للخصوم لاثبتنَ رحابة صدرهنَّ . أما الآن فقد سجلت السيدة «أدما ورفيقاتها المندهشات» على أنفسهنَّ واحدة من تلك المميزات التي تؤكد ضعفهنَّ وتكون حجة للرجال عليهنَّ

ثانياً جاء في ردها « فاذا كانت (المرأة) الآن كما تزعمون فلانكم أنتم أردتموها كذلك يا معشر الرجال »

هنا قررت الآنسة الاديبة ضمناً أحقية دعوانا وسلمت ان المرأة هي

فعلاً كما وصفناها وان حالها تستدعي العلاج العاجل لكنها ترى ان المرأة ما أصبحت هكذا إلاَّ لاننا نحن أردناها هكذا

معنى هذا : ان النساء ما هنَّ إلاَّ « مخلوقات » وجدنَ لارضاء الرجل لا غير

أيرضيكِ هذا الاستنتاج المنطقي يا سيدتي ؟

ثالثاً كتبت أديبة بيروت المتحمسة جداً ثلاث رسائل طالعناها بشغف وأثنينا على همة ونهضة ناسجة بردها إلاَّ ان النقطة الوحيدة في الرسائل الثلاث هي « ان في النساء فاضلات » وأيدت ذلك بالحجج الدامغة ، « وان في الرجال غير فاضلين » وأثبتت ذلك بالبراهين الناصعة

كل هذا صحيح ، وكل هذا مسلّم به ، ولكن ليس هنا الموضوع . مثلاً : أب له عشرة أولاد خمسة ذكور وخمس أناث . في الذكور ولدان شقيان وثلاثة فاضلون . وفي البنات اثنتان فاضلتان وثلاث شقيات . أراد الاب اصلاح ما اعوج في الأناث الثلاث فاجبنهُ : ما لك ولاصلاحنا ألا ترى ان في أولادك الذكور شقيين وان بيننا نحن فاضلتين ، فما دام بين اخوتنا الذكور أشقياء وما زال بين شقيقاتنا فاضلات دعنا في جهلنا

أجواب البنات الثلاث مقنع سديد ام هو برهان فاسد ؟

وجوابك يا سيدتي لا اراه مستنداً على دعائم اوطد . ولما كان في النظريات الصرفة بعض الصعوبة اسمحي لي ان اورد حكايتي مع امرأتي قديماً وحديثاً وهو بحث واقعي لا يحتاج الى فلسفة وقولي لي اذا لم تكن حكايتي هي حكاية سائر الفتيان والفتيات التي تحدث كل يوم : « يا طير

والامثال تضرب للبيب الامثل »

لما كنت عازباً — وقد مضى على ذلك زمن ليس باليسير — كنت احسبني لا اتزوج ابداً لدواع لا محل لذكرها — اهمها اعتقادي بعدم مقدرتي على القيام بكل الواجبات التي تطلبها المرأة — الى ان علقت يوماً بفتاة فتانة . .

ترددت على بيت اهلها وبعد المعاشرة عرفوا اميالي ولم يقصدوا منعي عن فتاتهم فاخبروني بانها كما احب :

عمرها ١٨ سنة ، تتقن فن الطبخ ، وتعرف ان تهيئ الف شكل وشكل ، غير مكترثة بالمودة ، ولا تحب النظر الى الاكبر منها وهي فوق ذلك تحب تدبير بيتها بنفسها ولا تتكل على الخادمات في شيء ، فضلاً عن انها تحب اللغة العربية لغة اهلها وهي تكاد تكون متعصبة لها . . .

وكان الهوى قد دب في الصدر وقضى على بقية كانت لا تزال تحبب اليَّ العزوبة فاستسلمنا للاقدار وعقد الزواج

مضى شهر العسل وابتدأت المعيشة البيتية العادية ، فماذا رأيت ؟

علمت في اثناء الحديث ان عمرها ٢٤ سنة لا ١٨ وقالت معتذرة : لا تزعل . فنحن النساء نخصم دائماً ٣٠ بالمئة على الاقل من عمرنا

فقلت : قيدنا الاولى يا سيدتي وبقيتنا ننتظر اخواتها . . . .

اتيت يوماً الى البيت فلم اجد الطعام جاهزاً فسألت عن السبب فقالت مولاتي : الخادمة متمارضة وانا لا اعرف من شغل المطبخ شيئاً . ففي بيت اهلي كان لكل عمله : لي الزينة والنزهات ، وللطاهي الطبخ ،

وللخادمة التنظيف وما اشبه ....

فقلت : قيدنا الثانية يا سيدتي

لم تمض مدةٌ وجاءتنا سيدة من المثريات كثيراً تلبس من الملابس الثمينة ما يدهش وعليها من الحلي ما يقدر بمئات الجنيهات وربما الالوف . فاخذت سيدتي تسألها عن هذا وذاك وهي معجبة مفتونة وأنا اقول : سؤالها من قبيل حب المعرفة بالشيء ولا الجهل به فقد اكد لي أهلها انها لاتنظر الى الاكبر منها . ذهبت الزائرة الكريمة واذا بسيدتي تقول : ما اجمل حلقها سألت لك عن البائع فهو « زيفى » تعال تنزل ونشتري مثله ... فدهشت وقلت : ولكن ....

— لالزوم الى لكن .... أنا اعلم ان المبلغ ليس متوفراً كلهُ معك الآن فندفع قسماً ونعطي وصلاً بالباقي فندفعهُ بعد سنة ....

— أمرك سيدتي . ولكن اسمحي لي أن اقيد الثالثة

— قيد ما تريد بشرط أن نشتري الحلق وانظركم أنا حريصة : ما طلبت غير الحلق وتجاوزت عن المشبك وعن اسورة الماس وغيرها من الحلي

— اشكر لك تجاوزك وحرصك يا سيدتي : ثم رزقنا طفلاً صغيراً وبعد ان منتني سيدتي ما شاءت بسبب هذا المولود خشيت انها تغير شيئاً من خصالها فتنتبه الى المنزل وتصبح حريصة حباً بولدها فضلاً عن اعتقادي انها ستحرص عليه حرصها على عينيها السوداوين وما كان اشد دهشي حين طلبت حالاً مرضعاً . فقلت ولكن المرضع لا تنتبه الى الولد

فقالت : شيء مضحك . وهل تريد أن انهك جسمي . لا لا . احضر المرضع حالاً . أما يكفيك اني اعطيتك ولداً . آه منكم يا رجال ! . . .

فقيَّدنا الرابعة

جاء دور تسمية المولود . فسألتها عن الاسم الذي تريده قالت : « ويلهلم » فيكون سمي امبراطور المانيا

— قلت : يا سيدتي أنا عربي وابن عربي واحب ان اسمي ابني اسماً عربياً . أيكون اسمي « حسون » واسم ابني « ويلهلم » !

فضحكت مولاتي مني ومن اسمي وقالت ومن قال لك اني لم افتكر بتغيير اسمك . يجب ان تسمي نفسك : « إدجار » فقلت : سمي ابنك كما تريدين واسمحي لي ان ابقي اسمي كما هو : « بعد ها لكبيرة جبة حمرا » هذا قليل من كثير مما جرى لنا وعندي زيادة للمستزيد . . . .

فرأيت ان دوام الحال على هذا المنوال من المحال فاخذت اسعى بتحسين الحالة رويداً رويداً متربصاً الفرص السانحة الملائمة الى ان اصبحت سيدتي اليوم من خيرة العقيلات رأياً وتدبيراً وحرصاً وطبخاً الى آخر ما يلزم من الاعمال البيتية . . . .

وقد قرأت عليها ما تقدم وولدنا امامنا يصغي باندهاش — عمره خمس سنين — فتبسمت وقالت : حقاً ان المرأة تجهل الحال المحزنة التي تكون فيها حتى تتغير فحينئذٍ ترى الفرق الهائل بين ما هي وبين ما يجب ان تكون ... فكم أنا مديونة لك يا عزيزي .... صوته